عيسى الشيخ حسن

" يا جبال أوّبي معه "

شعر

إلى فاطمة:

الغيوم التي لم تمرّ على قبرك
لم تشيّعها دموعي

شهادة تعريف

ولدٌ / إلاّ سبع سنابل

يرتكب قصيدتهُ

و يغنّي للأخضرِ

حين تهمّ به الصحراء

ينهض في الحنطةِ

ويشيلُ الهمّ إذا أغمضت الرؤيا

والتبس الدّربُ

"و غيض الماء "

تشهق في الخطواتِ مراثيه

تلوّنه بالفجرِ الغائمِ

وذنوبِ الشعراء

يقرأ في الشجر الطالعِ صبوته

في الشرق الذابل

تاريخ الأنهار المخنوقة

والغيم ـ الزّعلان ـ

وآهات الفقراء

* * *

ولدٌ

من ماءٍ
وترابٍ

وهواءْ

رحلــة

حين دخلنا في باب الحكمةِ
فاجأنا العصفور
يشدو ، ويذرُّ فتافيت الوجد
على حزن الفقراءْ
وينقِّر في ظلّ مواجعنا
يبحث
عن حلمٍ مكسور

كنا نهذي بالباب
ونرحل بين " الفاتحةِ " و " يس "
ونفكّ ضفائر رؤيانا
لتمرّ الأسماءْ
وكان النهر يخاصر موتانا
والحلم يجفّ ُ
وكنا نتردّ ّد في لمّ أغانينا
عن حبل الفتنةِ
ونفتش في راحات أيادينا
عن معنى الخيبةِ
وندوّن نصّ الروحِ
بنايات الغرباءْ

آه .....
وكنا ندعو أن يرسمنا الله تعالى
في اللوحة أولاداً نبلاءْ

نغرق في البوح الدافقِ
مبهورين برؤيا تومض في كفّ الليل
أصابع من برقٍ
ويتامى يبتسمونَ
تسيل خطاهم فوق خطوط اللوحةِ

.....
وقرىً دافئةً
وسنابل خضراءْ
آهِ .....
وكنا نأمل أن نستنسخ ابطالاً
من رحم التاريخ
وكنا .....نبكي
ونراود أنفسنا عن بهجتها ، كي
ننسى تلك الأيام المملوءة بالقلب
وأيلول الظامئِ لثياب الأولاد الغادين
إلى مدرسة القرية ، والولد النائم في جفن
التاسعة صباحاً ، وحروف كتابي المفتوح
على صور البيت

وكنا ننشد :

يا عصفور
يا عصفور
غنّ ِ
غنّ ِ
عن زمنٍ حلوٍ ، ومكانٍ مسحور
قل حتّى لو كذباً
أنك حين تسلقت جبال الريح
رأيت غيوماً مقبلةً
يا عصفور
يا عصفور
في سبأ الحلوة سيدةٌ

من وردٍ وكلام
في قصرٍ تملؤه الحوريّات
وأشجار الزيتون الحبلى
بوميض النور

يا عصفور
كن مرسالي ـ حين يدبّ الليلُ ـ
إليها
جمّلني ـ وحياتك ـ في عينيها

قل حتى لو كذباً
" نشميٌّ ، ووسيمٌ ، لم تهزمه
الحربُ ، ولم تغلبه الأنثى
حين هوى النجمُ ،إغريقيّ
أبحر في ملحمة الريح ، وصفّق
للراوي " .
قل ما شئت

* * *

في التفاح الأول سافر مولاي
أوقفني في باب الطالبِ
وأناخَ تباريح العشّاقِ بذاك الباب
سمع لي متن الألفية في الصبحِ
وكافأني بالتوتِ الأحمرِ حين حفظتُ
وأوصاني خيراً بالحزن

كان الشيخ يعزّينا إن هلك الحرثُ
وغاب الوبلُ

وأفلس أنصاف الشعراءْ

آهِ وكان يمرّ علينا إن أولَمْنا
يغرينا بكروم البصرةِ
ودروب سمرقندَ
وبالجرحِ الأخضرِ
في صمت الشهداءْ

حين شربنا الحزن الأولَ
أكملنا تفسير النهر
وطفقنا نخصف من ورق الكلماتِ
على سيرتنا
فانكشف النبعُ عن السيرةِ
وتدثر دمعٌ بحكايات الأجفانِ
تعثر بالدمعِ الواقف وطنٌ
ونداءْ

في الشجر الثاني
أكمل مولاي دلالات مراثينا
وانسابت مدنٌ
وبقايا جملٍ
ومرايا
ثمة حطّابون اكتشفوا معنى الخضرة
ودروبٌ آثرت الصمتَ الهاجعَ
تقرؤه أقدامُ الرحلةِ
ونجومُ البدويّ الباحثِ عن عشبٍ
يرفلُ في ليل الصحراء

*

في الموت الأول
شاهدناه يلوّح
كان المشهد ملتبساً
والأطفال عنيدين
وكنا نتماوتُ
نشرب ما يكفي اللوعة أن تهجعَ
دون مناديل
والمشهدُ محتشدٌ بالممكنِ
والطارئِ
والمتوجّسِ
والمتخيَّلِ

والأسودِ
والأسودِ
والمشهد مرتبكٌ
فالكذبَةُ رحلت أمسِ
تركتنا من دون غطاء
فكيف ندثرِ هذي الخيباتِ
وكيف نلمُّ جروح الرحلةِ
كي نقرأ في الليل عليها
وجعَ التغريبةَ وجنونَ الزير

رحلت
يا ويل أصابعنا المرفوعةِ
في وجه الريحِ
ويا ويل خطانا
لو أنّ الشجرَ تلفّع خضرتَه
لرسمتُ حروف ربيعي فرحانَ
وجئت إلى الكذبة كي ترسمني
بحّاراً تأخذه الرؤيا
حين يسيل الليل على المدن المنصوبة
في الإعراب
لو أنّ الشمسَ تخبّئنا في ثوب الكذبةِ
بينا نحتاطُ لهذا البرد الآتي
لرسمناها في الدفتر كعيون الفقراء

و المشهد ذبلان
خامرني أن أرفو قمصان المشهدِ
بالوله الممكنِ
والدمع المتمكنِ
فلعل العصفور يعيد إلى الكذبةِ
وهج جناحيها
ويعيد فتافيت الوجد إلى
حزن الفقراء

* * *

إليهم

سأموتُ
إذا غاب عن خاطري
شايها في العصاري
صدى صوتها :
" يا بنيّ انتظر
إنّ إخوتك استغرقوا في الصلاةِ ِ
ولم يحزموا أمرهم في دعاء القنوت "

*

سأموتُ
إذا غاب عن خاطري
ثلّةُ الأصدقاء
يحوكون أحزانهم نجمةً
في ظلال البيوت

*

سأموتُ
إذا ضلّت الذاكرة
صورةً للفتاة التي سرّحت
في دمي دهشة عابرة
*

سأموتُ
إذا مرّ سربٌ من الذكريات
ولم أنحنِ
وأسدّدْ
لأصطادها مونةً
لشتاء صموت
*
سأموتُ
إذا انكسرت جرّةٌ من غناءٍ
على حزني المستباحِ
ولم أنتمِ
للبلاد التي تستحمّ بأشواقنا
في مساءٍ يفوتُ
وليس يفوت
*
آهِ.... أموت

رثاء متأخر جـداً

كان أبي ...
يطيل في السفر
ويدمن الغياب
فيرتدي وجوهنا الشحوب
ونسأل القمر
عن غائبٍ في الليل لا يؤوب
وعندما يعود
تطفر من عيوننا
أسئلةٌ طيّبةٌ .....صغيرة
فيشتري عتابنا الودود
بالخبز والتفاح والثياب
فتنشي داخلنا
طفولة فقيرة
وتكبر الصور

لكنه في الرحلة الأخيرة
حدّق في وجوهنا
وأمعن النظر
وعندما استحثه الصحاب
قبّلني
وودّع الجدران والحصيرة

وشدّني / بلّلني بدمعهِ
أجهش عند الباب
وعندما ناديته في اللحظة الكسيرة
لوّح لي مبتعداً
وغاب....

وطن من كلام

سيكون علينا إذن أن نعدّ الحصا
في حساب الطفولة والذكرياتِ
يكون لنا أن نعود إلى حكمة صالحة
لتخطّي الفضاء المجاز
الفضاء الذي لا يحور إذا ناوشته الأغاني
بحبّات أدمعها
لا يغيم إذا ناشدته الخطى
واستقالت بلا رحلة يانعة
وإذاً كي ننام طويلاً
فلابدّ أن نتغاضى عن البردِ
حين يحثّ الأصابع كي تتلاشى
عن الأصدقاء إذا لوّحوا دون وعد لقاء
إذا لوّحوا في مساء ثقيل
وإذا حال ما بيننا سفرٌ يستطيل
وإذاً سوف نغدق في همسنا صاعداً
في دروب الشتاءِ الذي يتأخرُ
آهٍ ونرمي على أوّل القلب بيتاً من الشعرِ
تسكنه السيّدة

ولا بدّ أن ننتمي
ونطير إلى حلمٍ من لغة

ويكون لنا أن نعود إلى شكلنا
ونسمّي تفاصيلنا
سيكون لنا بيدرٌ
وبيوتٌ من الطين تسعى إلى زرقةٍ ممكنة
ونهار يغنّي لنا فيه أيّوبنا عن سخامٍ أليف
نغمّس حزن البلاد بأشواقنا
لتمرّ الصبابات في شارع الموت حتى النهايةِ
في المنعطف
وتكون لنا جرّةٌ من ضلوع الندامى
تحبّرنا باحتمال العنب
ويكون على الجمر أن يتثاءب دون حطب
وعلى النهر أن يستميح الجفاف
وعلى النمل أن يدخلوا في مساكنهم
وعلى اللاحقين أن يقرؤوا سورة الفاتحة
وعلينا إذاً أن نعدّ لها الورد والعطر والرائحة
سيكون على الغيث أن يستشير الهواء
على بسمةٍ لا تجيء بأن لا تجيء
على الصبر أن يتمطّى
على الحزن أن يستغيث بنصٍّ يجوس
المساءَ الذي لاينام

أنجزتنا البلاغة يا صاحبي
ولدينا هنا وطنٌ من كلام
بتضاريسه ، وحدود مجازاته
والشواطئ ، والمدن الصاخبة
ولدينا هنا أرخبيلٌ من الشعرِ واللغة الغامضة
جزرٌ من شروحٍ تفلّي الرثاءَ
قرىً تزرع النحوَ في آخر الصيف
كي تبكّر في بيعِ أخطائنا
ويكون علينا غداً
أن نحرّر وشماً على يدها
الفتاة التي حملتنا إلى أوّل الفكرة القاتلة
سيكون على همزة الوصلِ
محو الخلاف الذي يتصاعدُ
بين النداءات والخيبة المزمنة
ويكون علينا إذاً أن نخبّئ أطفالنا
سيكون الحداء ضئيلاً
ويكون النهار بلا سَمْتِهِ
والدخانُ الدخانُ صبيّاً لجوجاً
لابثاً في الحياة القصيرة والوردة الذابلة
فاضحاً سيرة البرق والرعد والزلزلة
سيكون على البنت ألاّ تلوّح قبل اكتمال السفر
وعلى قلبه أن يخبّئ ضحكاتها لتعود إليه

على الموت أن يستريحَ
على البحر ألاّ يثورَ
على الخوفِ أن يتحرّى ابتكاراته
وعلى الشاعر المختبي
أن يحثّ الحروف إلى حبره
وعلى النصّ
أن " يتوارى من القوم من سوء ما "
قرأته الرياحُ
وهزّت ظلالاً تخبّئ في ثوبها الأجوبة

ما تيسّر من الحــزن

كما عاشقِين على أول الليل
نحثّ الأغاني إلى عشبها
كما الوقت يفتح أحلامنا النائية
نضيّع أسماءنا في الرحيل
نهشّ على ممكنٍ واجفٍ
لعلّي أراهن موتي
على قطرةٍ باقية
تعيد انتظاري لترنيمة الشيخ
حين يعود إلى ورده
ويجهش في السجدة الثانية
كما أمهاتٍ
تثرثر ملء مواويلهنّ الدموع
أخبّ إلى نسغي المستضامِ
القصيّ عن النخلِ
الشجيّ بلا رفّةٍ حانية
لافضاء أراه يهيم بقاماتنا

ولاقمرٌ يستحمّ بليل الرؤى
و لا سنونوةٌ تشرئبّ إلى ما نشيم

نشيم نهاراتها
وفستقها
والذي أغفلته الحكايات من برد كانون
في الحنطة الآتية
أقاسمك الآن هذي المراثي
وهذا الوجيع من الوجد
وهذا المطر
غداة يمرّ على باب بيتي موتٌ أليف

غداة أعودُ
ملاكاً من الورد
أشهقُ كلّ الفضاء
أعدّ الخطايا التي لم أذقها
أعدّ الوجوه التي رسمتها عذاباتها في حروفي
وكلّ الوجوه التي مارست لعبة الأقنعة
ومرّت عليّ بثوب النصيحةِ
آهٍ وأعرف قلبي
سيتركني وخطاي الكسولةَ
في غمرة السابلة
سيسرفُ في ذا المسمّى " الحنين "

و لاحول لي
كي أماري صباباته
ويعرف أني صبرت عليه
وهذّبت ورد العتاب
و أتقنت عدّ خطاه
ولكن
سيمشي وحيداً
ويمضي إلى جملةٍ في الغياب
وأعرفه يستحي ويكابرْ
ولن ينحني للبكاء
إذا نادمته الحروف
وظلّلها بعريش العنب
وأعرفه
إذ يطلّ نداماه ليلاً
من الأغنياتِ
وكأس القصيدِ
يغنّي لهم
ويجوس المكان البعيد
براحات أنّاتِهِ
أجل
وأعرفه حين تملأ أمّي له كأساً
من الشاي
وتوقد حقلاً من الذكريات

لعلّ على النار بعض الحطب
وأعرفه لايردّ عليَّ السلامَ
ولايحتفي بندوبي
أجل عاتبٌ
لأنّي تأخّرت جدّاً عليه
حين استفاق الحمامُ
على طعنة في المساء الرطيبِ
أجل
ويمدّ البحار إلى ليلهِ
ثمّ يعدو
يبارزُ وهجَ الظهيرةِ
يفني تباريح نشوانةً
ويزعم أنّ اليمام على نقطة النون يشدو
وأعرف قلبي
يطيب له أن يعبّ حروف البلاد
ويحرس معنى البياضِ
الذي يتضاءل حتّى السواد
كما لا يطيب له أن تذلّ القبيلة
و لا أن يرى خوذةً تستريح
ولم يتعلّم من النهر كيف يسافر دون حصاه
ولم يتعلّم من الآخرين احتراف النميمة

كذلك أحلامه لم تشذّ عن المتن
غماماته
لم تكفّ مناديلها عن غناء الطيور
وأعرفه
لايحنّ عليّ
وأنا سادرٌ ـ كنتُ ـ في لمّ أشواقه
بلا حجّة أتسلّى بتقليبها
ولا رعشةٍ في ارتباك اليدين
أسمّيّي النهار حصاد السريرةِ
أشدو بلا غيمةٍ
قد تردّ العصافير نحو المغيب
وأرمي لما يتبقّى من العاديات
حروف الصهيل
ولي من بكائي على داثرات الطلول
احتمائي بنزفي
ولي في صلاتي على شاطئ الليل
فصلٌ قديمٌ من النحو
يسرفُ في طيّبات الشواهدِ
لي ما يبلّ المسافة بين السكون الجميل
وبين انثيال الأغاني التي غسّلتني
بحزنٍ طويلٍ طويل

ولي قبّراتي
إذا كان أجهش بين الأصابع قلبي
ومال على وردةٍ ذابلة
تلهّى / ليتركني وخطاي الكسولةَ
في غمرة السابلة
ولي وجعٌ نازفٌ لايريم
إذا تركتني رفيقة دربي
وقالت " تأخرت عنّي
وأسرفْتَ في غربةٍ قاتلة
فمن سوف يأخذُ فيّ العزاء
ومن سيزيّن قبري الصغير ببيت رثاء "
فأمضي قصيّاً.....قصيّاً
إلى دفتر العائلة
إلى بيت قلبي
ولكنّ قلبي سيمشي وحيداً
لأهجع في فسحةٍ من غناء
أحنّ إلى مزنةٍ هاطلة

غير أنّي أخاف إذا ما بكيت بأن يستفيقوا
يبلّلُ دمعي مناماتهم
فأضحكُ
أضحكُ
أضحكُ

حتّى البكاء الطليق
ولي كلّ ما تركته النجوم من الضوء
يفلّي الطريق
ولي كلّ آهةِ حزنٍ
تندّىّ عن الطّين
وعشب النهار الحزين
ولي ثَـمَّ لي جمرةٌ طيّبة
يموت بها إخوتي الطيّبون
تؤوّل فينا رماد النصوص
وتقرأ أيّامنا المتعبة

أغنية للمسافر

ـ الغريب الذي شدّ أنشوطةً في دمي
لاحتمال اللقاء
ـ الغريب الذي رفّ في دهشتي وارتمى
في مساء الحجاز
كلّما شفّ من شاي صاحبه
غاب في "هفهفات" العصاري على
حنطةٍ يانعة
ثم ذاب على فتية في الشمال
ثمّ فكّر في طفلةٍ ترتدي حزنه
قامةً ....قامةً
سوف تقرأ أيامه في الأكفّ التي
لامست وجه عرّافةٍ
وتراه يحطّ على راحتيها ، يفتّشُ
بين الخطوطِ
عن الماء واللحظة الضائعة

ستقول :
"بأنّ الولد
عائدٌ يابنتي ..
في يديه " البرازق"للزائرينَ
على شفتيه ابتساماته الوادعة "
ـ الغريب الذي لم يعد ينتمي للبكاءِ
الأليفِ ، ولا لاحتمال الوقوفِ
على شاردات المعاني
إنّه يشرب الحزن في قطرات المطر
هو لن يتّقي هطلها
بالهروب إلى ساحةٍ نائمة
فالغيوم التي صادفته وحيداً
يجوس خطاياه
ينأى عن الضالعين بـتأويل أوجاعه
ويبحث عن وجهه في مرايا الشجر
الغيوم التي لم تكن تنحني كي يراه له
صبية العاصمة
حملت حزنه لشمالٍ بعيدٍ .... بعيد

الغيومُ مكاتيبه
ربّما وصلتهم قبيل المسا..
دمعةً ...دمعةً
في الدموع التي لامست شالها
في الدموع التي لامست وجهها
في الدموع التي لامست دمعها
كلماتٌ تقول لها :
"إنّه عائدٌ
في يديه "البرازق " للزائرين
والفناجين للبيت
والبسمة الحالمة "
وهو يدرك أن القطارات قد غادرت
كي يردّد في صبوات الشوارعِ
كلّ الأغاني التي حلّقت ثمّ حطّت
على ذكريات الطفولة والآخرين
ولأنّ التذاكر في جيبه فتّتتها الأصابع
سيعدّ علينا احتراقاته مشهداً ..مشهداً

لانديم .... ولاكأس ..... لاذكريات
آهِ .... لا وردةٌ تمنح المشهد الأسئلة
ولأمّي التي يستريحُ على راحتيها التعب
كلّ هذا البنفسج
كلّ البخور الذي يهتدي للجهات
السلام على حزنك المستطيل
السلام على غصص الراحلين
السلام على دمعهم
في متاهات أيامنا يعبرون
السلام على النافذة
حين تغلق كلّ الحقول على طيرها
في ارتباكٍ نبيل

التفات

إخوتي
غادروا دفتر العائلة
واحداً
واحداً
تركوا كومة الذكرياتِ
على دكّة البيت
و مضوا نحو أيامهم
واحداً
واحداً
دون أن يأخذوا صيفهم من ثغاء الدوابْ
وكذلك أسنانهم
من شموس الضحى

والثياب التي نتبادلها
والرسوم على حائطِ الأسئلة
وخزاناتهم
وانتظار الذين يغيبون عن وله ٍ في اليدين
إخوتي غادروا
تركوا نصفهم حاضراً
في الطريق إلى حقلنا

والمساء إلى بيتنا
و الصورْ
وبإمكانها أن تصبّ العشاءْ
أمّنا
غصّةً غصّةً
وتفكّر في سبعةٍ تحت أنجمهم
غادروا
واحداً واحداً
والصحون التي تنزوي آخر المائدة
أكملت عدّهم
دون أن تحتفي بمساءاتهم
إخوتي نشوةٌ من فضاءٍ عَبَرْ
هجؤوا أول الدرب
يا صاحبي نحو أيّامهم
ومضوا

دمعةً دمعةً
في نشيد السفرْ

يدا محمد العمر

تحدّثني غمغمات يديه
عن الخبز والملح
والصدفة الباردة
يلمّ البياض على رأسه
يقول :
"ألا ليت هذا الشباب يعود
فأخبره
بصنيع المشيب
ونشرة أحزانه الوافدة".

*

يرتّب يوم تلاميذه
يداه تطيلان الشروح
عن الفعل والاسم والحرف
والنجمة الواعدة

تسافر بين يديه العيون
تمدّان نهر المعاني رشيقاً
كأنّ الحياة على ضفّتيه
تُمشّطها لحظةٌ شاردة

أراه يصلّي
يشيل يديه إلى كتفيه
يكبّرُ
يقرأ أمّ الكتاب بصوت جهير
يضمّهما فوق صدرٍ كسير
فأحسب أنّهما واحدة

*

يهزّهما في حماسةِ طفلٍ
إذا ما الفريق تألّق
تطيران إن سجّلوا هدفاً
كأنّ انتصار الفريق
سيطعمُ خبزاً
ولحماً طريّاً
ويمسح خيباته الراكدة

أسئلــة

كم يلزمنا من حبّك
كي نغدو فرساناً
ونهاراتٍ بيضاً
وعصافير تشدّ الوقت بأسراب أغانيها
وحقولاً تخضرّ
وفتنة عشّاقٍ يلتمسون مواجدهم
في البئر المردومةِ
وأقاليم من النهر المتأخر عن درس القهر

كم يلزمنا من حزنك
لنفكّ حروف الأشجار
لنقرأ في الخيط العقدة
لنحكّ ملامحنا بوميض التاريخ
نزفّ مراثينا
كي ننسى أنّا غرباء إلى آخر هذا العمر

كم يلزمنا من وجهكِ
كي يحتفل الخُطّابُ بصدِّ الأهلين
الحاضرُ بالماضي
والصلواتُ بفيض الذكر
النایاتُ بشدوكِ
والأغصان بنشوة أيّار
الحاضرُ ثانيةً بوجيبِ الأحلام المقتولة
والسفّانُ بقاربهِ
والحسناءُ الحلوةُ
بالآتي فوق جوادٍ أبيضَ لا يُغليها المهر

كم يلزمنا من عينيك
لنؤمن أنّ السفرَ إليكِ طويلاً حقٌّ
والوجد المذبوح أمام العنوان الباقي حقّ

والرحلةَ حقٌّ
والعودةَ حقٌّ
لا تعدمُه غير السيّارةِ
يلتقطون تفاصيل خطاهم
من وجعٍ مفضوحٍ في قاعِ البئر

كم يلزمنا من رؤيا
تختصرُ سنابلها الصفراء العطشى
والبقر المهزولةَ
والرمل النائس في الريح
ونرقبُ أيّاماً لم يحلمها وردٌ في نيسان
ولاقمرٌ في عرسٍ عربيّ
أو مدنٌ تتسلّ ُ فراشات الضوء
إلى مخدعها السريّ
كي تأخذ كلّ لياليها نحو فوانيس الشعر

يلزمنا
كم يلزمنا
أن نكتب مابين الغصّة والغصّة

أنّا ذبلانون ، وموجوعون ، وعطشانون ،
ومصدوعون ،ومكلومون
خطاةٌ مشنوقون من الذنب
رماةٌ كسلانون ، غيورون ، رديئون
على غير العادةِ أو كالعادةِ
لافرق إذا جاس الوسميّ مفاصلنا
أو جاد الغمر

يلزمنا
ألاّ نكتب
ألاّ ّ نقرأ
ألاّ ّ نملأ كل مواسمنا بخوابي الآجرّ ِ
وأن نستبدلَ أنهاراً
تسكنها الإيقاعات العطشى
بالمتبقّي من هذا المسكين النهر .

اعتراف بحجم الممكن

ذات رؤيا
هبط الشعر علينا
لم يكن ثمّ سوانا
جرّة الحبر
وحنّاء الأغاني
والبلد
نحن لم نثمل هوانا
عندما جاءت إلينا

جرحنا كان غضيراً
وهي لم تدعُ أحد
*
ها هنا ليلٌ وبيتُ
وسراجٌ
تعبر الرؤيا مداهُ
ثَمّ أنخابٌ وزيتُ

ينهضُ المشمشُ في ذاكرةِ الطفل
الذي مرّ على بيدرنا
كي تغنّيه المراثي
بعدما أحياه موتُ
وهنا مرّت أميرة
دثّرتني بالحكايات القديمة
فمشى حزني إليها
غيمةً وارفة الدمعِ صغيرةْ
و " الدراريبُ "* تناسوا دّربهم
عندما مرّت وذاب الغيمُ
مجنوناً عليها
ولنا أن نحتفي بالموت
يتلو هدأة الروحِ على جمرِ الحقيقة
ولنا أن تجزع الأشجار
في ليل الحديقة

فإذا ما جئتُ مغسولاً بذنب الشعر
ورداً في يديها
كي تراني راشحاً في موقف العاشقِ
يمحو نومه بالحلمِ
يعدو في المواويل الرشيقة
فلها أن تضع الأيّام شالاً
لاحتمالات الضفيرة
ولها أن تأخذ الموّال منّي
هي لاتعبر رؤيانا تماماً
في المساءات الطويلة
بل تضلّ الخيط في كفّ المغنّي
وتحلّ الواجب اليوميّ
في الدّرب الجديد
علّ نهراً شارد الوديان يحبو
بين حلمينا ويبكي
نحن أدرى يا أبا الطيّب بالدرب
وبالشوق العنيد
غير أنّ الفاصلة
كلّما جمّعت أطراف الكلامْ
باعدت بين حروفي
واحتفت بالسكّرِ المطحونِ في أقلامنا
ولنا أن ترسل البنتُ مكاتيبَ إليه
تنتقي فيها العباراتِ الجديدة َوالدعاءْ

ولنا أن نحبسَ الأيّامَ عن نشوتها
في الشتاءاتِ العسيرة
ولها أن تدّعي أنّ الولد
ذاب حزناً في احتمالات الضفيرة
وارتمى والليلَ قوسين صغيرينِ
يضمّان الأميرة

*

* الدراريب جمع درّاب وهو عابر الطريق في بعض اللهجات

نشوة

لا..ليس على قلبي حرجٌ
إن مدّ أصابع دهشته وتهجى اسمكِ
ليس عليه جُناحٌ
إن هشّ غريراً
لأغانٍ تتدفّقُ في الروحِ
المكلومةِ
كي يلمحَ نجمكِ
آهٍ حين تمرّين

وآهٍ حين تغيبين عن البالِ
فأستدعي رسمكِ
يارؤياي
وملهمتي
كم مرّ على كرمكِ عُشّاقٌ
فلاّحون قساةٌ
ونواطيرُ ...
ولم يُفنوا كرمَكِ
ها إنّي
يابنة هذا المشمشِ
والخوخِ الطالعِ
والليمون..
أتداعى أسئلةً
كي أُتقنَ فهمكِ :
من شمّكِ
من ضمّكِ
من زوّجَ في
الليلِ الحالكِ أمّكِ
من أمسى عمّكِ
من سمّل عينيكِ الدّافئتينِ
ففاجأه نهرٌ من رؤيا
من بعثر أشجارك
فالتمّت ..

تتفيّأُ غيمكِ

عرّافون
سرابٌ
رملٌ يجري في ملكوت الريح
ترمي أشياءكِ
وحدودي تكلؤني
والبنت الطالعة الآن من الموسيقا
ستلمّ ذنوبي

أحتاجُ إليكِ
إذا ذبلَ الوردُ بنيسانَ
إذا أفلت من عينيّ
خيالكِ
أو ماتَ النهرُ
و أطرقت الغيمةُ
وابتهلَ العشاقُ
جميعُ العشاقِ المرسومينَ
على آنية الصبح الداني
كي أنشد في الغسق الممتدّ
مقام خطاها
هي تبحثُ عن جبلٍ يعصم
من فيض الخيباتِ النازف
حلمَـــــــكِ

في المغنّي والنشيد

أيّ دربٍ
يجعل النصّ لذيذاً
ـ جمرةُ الحرفِ المعنّى ؟
ـخمرةُ اللغة النبيّة ؟
ـ نار معناها تماماً
قال أطفال القصيدة
ـ نورها الأبيض يسعى
في بهاءِ اللفظِ والحزنِ المشيق
ـقال شيخي
ثمّ سدّ الباب من دون حروفي
وأنا في موقف التائب أستجدي سناه

علّه يأمرُ نايات المساءِ
فأغنّي
ملء ما في الكون
من حزن الخريفِ
*

أيّ حربٍ
تمنح الآن نبيذاً
ـ صبرنا المصبوغ باليأس تمطّى
ـ أم تراه
شغبٌ حرٌّ طليق
قال لي شيخيَ :
إنّ الصبر من زادِ المريد
كلّما طاف الندامى في معانينا
ملأنا كأسهم
صاح بي الأولادُ :
فات الوقتُ
ما عدنا نطيق
.....

.....

.....

.....

وتغشّانا مطر
أسود اللون ولم نلمح بريق
آه غنّينا طويلاً
للحصى المبتلّ في رمل الطريق

وتركنا جبّة الشيخ يغطيها تراب

آهِ عذّبنا المغنّي
خلف ذاك المطرِ الممدودِ
في صوت الرعود
ثمّ أبقى لي دلاءً عامرة
باحتمال الخصبِ
والرؤيا وموت الفقراء
هو يدري
أنّ هذا المطر المشغول
بالحلمِ العتيقِ
سوفَ يجرفنا ويمضي
مثلَ سيلٍ في الشتاء
طاوياً في سيرهِ الصاخبِ

آهاتِ البروقِ
وهو يدري
أنّ هذا النهر يذوي دائماً
في كلّ صيف
فلماذا يأخذ الأطفال شيخي
نحو قلبي
ولماذا يوسف الصّدّيق يبكي
باحثاً في كلّ جبِّ
عن بلادٍ تملأُ الرؤيا غناءْ

احتمال

في اللعبةِ
تتداخل أوراقي
فإذا ضحّيتُ ببنت الآسْ
من يدريني
أنّي أكسب هذي الجولةْ

*

في المجلسِ
حين يغادرني الناسْ
ألمحُ نخلاً يهوي
وفضاءً ينهضُ
وشعوباً
تتدفأ بالبردِ القارسِ
و تغنّي حولهْ

كمش

جنديٌّ قي أوّل رحلته
يدأبُ في السير على درب الأيّام
أسرف في الرحلة
أخذته الأحلام
أتقن إطلاق النارِ

و سمّى أعداء القلبِ
ورمّم جسراً هدّته الحربُ
ونام
أرداه حصان الرحلةِ
داسته الأقدام
.....
.....
جنديٌّ في أوّلِ رقعتهِ
يحمي سيّدَه
لا يتراجعُ
ويغنّي للقلعةِ كي تصمدَ
وتخبّي الأحلام
لم يدرِ أنّ حصان الأسودِ
يرصده

جنديّ
مجهولٌ
وغريبٌ
يحكي في البلدِ النّائي
عن كيد الشطرنج
وفلسفة اللعبةِ
وخيولٍ لا تصهلُ
والباقي من وجع الأوهام

جنديٌّ
يحكي فمُه الأدردُ
عن تفّاحٍ مركونٍ
وحصىً تملأ قصعتهُ

جنديٌّ
يتعثّّر بحكايته
ويهزّ سرير التراجيديا
وينام

ما يحدث

في الصبح الرافل بحبور الأشياء
يُغَنّي المشهد :
فلاّحٌ يتفيّأ شجرة
وثمارٌ تتساقط
والطير تحلق

تبني الأعشاش
على الأغصان النضرة
*
حين يجيء الليل
سنحتاج إلى النار
في المشهد
حطّابٌ يحتفل بلحم العصفور
المشويّ بنار الأغصان المستعرة
*
في الصبح التالي
لا يبقى من ذاك المشهد
إلاّ ذاكرةٌ منتصرة

مكاتيب بحجم الكونّ

"..... ثلاثةٌ يعيشون في قطر
الجمل

والنخلة
وعيسى الشيخ حسن "

إلى أمّي

عيناك قافلتان من تعبٍ
أحتاج عمري
كي أرى بهما

لا تحزني إن كنتُ مغترباً
فأنا أسافر
بين هدبهما

ما كنتُ أبحر في سؤالهما
إلاّ لأغرق
في جوابهما

إلى صقر قريش

يا نخلُ
لستِ غريبةً مثلي
أولاءِ أهلُكِ
أين
هم
أهلي ؟

---

* في النصّ إشارة لقصّة صقر قريش مع النخلة التي غرسها في أرض الأندلس فذكّرته بأهله وأنشد في ذلك أبياتاً أوّلها :
يا نخلُ أنت غريبة مثلي
في البلدِ النائي عن الأهلِ

إلى طارق بن زياد

البحر ورائي

والمرأةُ كانت تختال أمامي
فمضيت إليها
جذلانَ
و أحرقتُ السّفنا
*
.....
.....
.....
.....
.....
*
وحين هزمتُ
تراجعتُ
و آخيتُ شتائي
كان البحر يداعبُني

والمرأة ترمي كلّ الضحكاتِ
ورائي

وأنا أبحث في الموج الصاخب
عن حزمةِ قشّ

أدعوها وطنا

إلى شهيد

عاهدوك
أن يثبوا
فانطلقت.....

وانقلبوا

وارتديت أغنيةً

و ارتداهم
التعبُ

إلى محمّد الغدو

يوقظني
كي يشرح لي سورةَ " يوسفَ "
فيعيد الأدوار إلى الأبطالِ
يوشّحهم بثياب الغيرةِ
والندم المتأخّرِ
والحبّ المكتومِ
يبلّلهم بالدمعِ
يناديهم ....لا يأتون
ويفتّش في البئر المردومة
عن باقي القصّةِ
يكتال حنيناً من آخر همسة
فاجأه النهر بها
يتركني أجهش في السورةِ
وينام

إليه

تعب القلب
كثيراً

والتعب
لادمي نهرٌ
و لا حزني قصب

تتّكي الروح على غربتها
مثل طفلٍ
ضاع من أمٍّ وأب

أنحني
نخلاً على ذاكرتي
علّ فيهاأغنياتٍ أو رطب

إليها

ستعودين
من حدود الكتابة
يا عصافير عمرنا
المستتابة
مثل غيمٍ
على السماء مطلّ
ينهض الآن
في نشيج سحابة
كلّما هزّ عاشقٌ شجر الروح
واسّاقطت بنت غابة
فتذوبين خفقةً من نعاسٍ
وتغنّين في حنين في ربابة

إلى محمد الظاهر *

سيمرح النهر في صمتي فأتركه ، يلوذ بالوجد
والناياتِ مغتسلاً بطائر النار يهوي حاملاً
غصص المحبّ آن نأى ، وأستحمّ بأقمارٍ من
الشجنِ .

كان النهار طويلاً لم أكن قلقاً على الصبيةِ
أن تمضي بلا سفُنِ .

وكنت أصعدُ في شوقي فيأخذني حالٌ ويجذبني
حلمٌ كما النهر يفنيني ويقرؤني .

وكنت أوقظ نيراني إذا انطفأت ، وأبسط النار
زاداً للذين مضوا ، فيحزم الحزن أغصاني
ويضفرها لقادمٍ يأخذ الموتى إلى دمه ، وينثر

الروح بخّوراً على المدنِ

*** محمد الظاهر : شاعر أردني : أوّل من كتب قصيدة تفعيلة مركّبة : (من تفعيلتين) عام 1983بعنوان طقس القرى رماد الحرب**

*إلى يعقوب السبيعي

مستوكف العبرات إنّ مزارَها
صعبٌ
نحاول دونه إبصارَها

ناءٍ ،
تحجّ الشاهقات كليلةً بيتاً
يحاكي في الجمال مزارَها

لفضائها الدّامي
نحوك غمامةً
ونشدّ خيط العمر
كي يختارَها

*يعقوب السبيعي :شاعر كويتي، شاكست قصيدته جمرة الاحتمال التي مطلعها :

نثرت على مقل الطريق غبارها لمّا ترصّد عاشقٌ أخبارها

شهادة وفاة

" أو ما يشبهها"

في المرآةِ
أفتش عنّيّ
منذُ كتابٍ كنت هنا
أغمضُ عينيّ عليّ
لأحصي ما فات
ذاك الولد الهارب منّي
يقفز بين يديّ
يداعبني
يفلت حين تمدّ الذكرى
كلّ أصابعها
نحو" شقاوته" للقبض عليه
يفلت

أغمض عينيّ عليّ
أسدّدُ ذاكرتي نحو خطاياهُ
لكي أحصي ذاك الولد الهارب منّي
أملأ فخّي
بأغانٍ كان يردّدها
لكن هيهات
الولد الذابل في عينيّ طويلاً
مات

استدراك

الولدْ :
جملةٌ
تائهةْ
في البلدْ

*

نملةٌ
فارهةْ
و عددْ

*

طلقةٌ
في زبدْ